مجلة جامعة الملك سعود، م ٢، *الآداب* (١)، ص ص ٢٦٥ ـ ٣٠١ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الاتحاد السوفيتي وتأسيس إسرائيل

أمين عبدالله محمود

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت

ملخص البحث. إن الهدف الرئيس الذي تسعى إليه هذه الدراسة هو إبراز أهمية دور الاتحاد السوفيتي بالنسبة لتأسيس إسرائيل. وتبتدىء الدراسة بتقصي تفاصيل الاتصالات والاجتماعات السرية التي بدأها زعماء اليشوف في فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية مع عدد من الدبلوماسيين السوفيت في محاولة لاستمالة السوفيت إلى جانبهم وإقناعهم بأن قيام دولة يهودية يخدم مصالحهم. ثم تبين الدراسة خطورة كل من صفقة الأسلحة التشيكية التي تزودت بها قوات الهاجاناة، وتدفق الهجرات اليهودية إلى فلسطين من أوربا الشرقية، مما كان له أكبر الأثر في تسهيل مهمة إقامة الدولة اليهودية وتثبيت جذورها خلال العام الأول من تأسيسها. ويتضح من هذه الدراسة أن الاتحاد السوفيتي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أخذ ينتهج سياسة خارجية براغماتية لاتهدف إلى خدمة المصلحة العربية أو المصلحة اليهودية بقدر ما كانت تهدف لخدمة المصلحة السوفيتية أولاً وأخيرًا، لإيجاد موطىء قدم لها في منطقة الشرق الأوسط يوفر لها المجال للقيام بدور مؤثر في شؤون المنطقة ومستقبلها.

ولا شك أن غياب الوثائق السوفيتية الرسمية أو شبه الرسمية يتيح مجالاً واسعًا للافتراضات دون تمكين الباحث من الجزم بحقيقة الدوافع والأهداف التي كانت تكمن وراء موقف الاتحاد السوفيتي. وبالرغم من ذلك فقد حاولت الدراسة — ما أمكنها ذلك — تعويض الكثير من هذا النقص عن طريق الاعتماد على الوثائق الرسمية للأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية التي كانت دولة حليفة للاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية.

في الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٧م وبعد عقود من التنديد السوفيتي بالصهيونية فوجىء العالم واستمع بدهشة واستغراب إلى أندريه جروميكو، المندوب السوفيتي لدى الأمم المتحدة

يعبر عن تأييد بلاده لحق اليهود في قيام دولة صِهْيَوْنِيَّة في فلسطين وتأييده لمشروع التقسيم بحماسة واندفاع غريبين.[١] وفي السادس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧م وقبل ثلاثة أيام فقط من صدور قرار التقسيم وقف جروميكو على منبر المنظمة الدولية يدافع عن «الحقوق الشرعية للشعب اليهودي في إقامة دولته لتأمين المأوى والوطن لمئات الألوف من اليهود ممن يعيشون في معسكرات أقامتها لهم الدول الأوربية.»[٢] وفي الثامن عشر من أيار عام ١٩٤٨م وبعد أربعة أيام فقط من الإعلان عن قيام «دولة إسرائيل» كان الاتحاد السوفيتي أول دولة تمنحها اعترافًا قانونيًّا كاملاً.[٣]

لا بد أن يثير هذا التسلسل في الأحداث بعض التساؤلات مثل: ما الذي حدا بالاتحاد السوفيتي لتأييد إسرائيل والاعتراف بحقها في الوجود قانونيًّا بعد أن دأب على التنديد بالصهيونية وشجبها طيلة عقود من السنين؟ وماذا كانت مصالح الاتحاد السوفيتي في الفترة التي سبقت دعمه لإسرائيل؟ وماذا أصبحت عليه هذه المصالح في فترة دعمه لإسرائيل وبالذات بين عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م؟

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه التساؤلات وتساؤلات أخرى ذات صلة بالعلاقات السوفيتية الإسرائيلية، وأن تحلل المواقف المتغيرة التي وقفها الاتحاد السوفيتي من إسرائيل والتي كثيرًا ما بدت وكأنها متناقضة وغير متجانسة.

يوجه الباحث شكره إلى الآنسة هناء دروزة الباحثة المساعدة في مركز الدراسات العبرية لمساعداتها القيمة في جمع معلومات علمية متعلقة ببعض جوانب هذه الدراسة.

(١) United Nations, General Assembly, *Discussion of the Report of the First Committee on the Establishment of a Special Committee on Palestine, First Special Session, 1947*, p. 127.

(٢) United Nations, General Assembly, *Official Records: Second Special Session, Plenary Meeting,*

(٣) Arnold Krammer, The Forgotten Friendship (London: University of Illinois, 1974), p. 29; Philip Marshal Brown, "The Recognition of Israel," *American Journal of Internation Law*, 42 (July, 1948), 621-22.

بداية الاتصالات الصهيونية السوفيتية

كان الموقف الرسمي والمعلن للحزب الشيوعي السوفيتي منذ عهد لينين معارضًا للأهداف الصهيونية الرامية إلى تأسيس كيان سياسي يهودي في فلسطين. ففي عام ١٩٠٣م، حينما كانت روسيا لا تزال تحت الحكم القيصري، قال لينين: «. . . إن الفكرة الصهيونية القائمة على أمة يهودية فكرة زائفة تمامًا. . . إنها فكرة يصعب الدفاع عنها علميًّا. وهي فكرة متخلفة سياسيًّا.»(٤) وشجب لينين فكرة الأمة اليهودية ووصفها بأنها فكرة خاطئة ولا أساس لها. كما هاجم تروتسكي — وهو يهودي الأصل — الحركة الصهيونية أيضًا ووصفها بأنها حركة انفصالية رجعية وأصر على أن الاشتراكية هي الوسيلة الوحيدة لتحطيم الحواجز بين الأجناس والعقائد والقوميات.(٥)

أما بالنسبة لستالين فقد أشار إلى الصهيونية في دراسته المشهورة *الماركسية ومسألة القوميات* المنشورة عام ١٩١٣م بأنها «تيار رجعي قومي للبرجوازية اليهودية، كان له أتباع بين المثقفين وبين القطاعات المتخلفة للعمال اليهود. وقد حاول الصهاينة عزل الطبقة العاملة اليهودية عن الكفاح العام للبروليتاريا.»(٦) كما أنكر ستالين أن باستطاعة اليهود تكوين أمة، فقد قال: «إن كل ما يجمعهم هو الدين والأصول المشتركة وخصائص أخرى قليلة.»(٧)

ومنذ ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م وحتى بداية الأربعينات استمرت الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي السوفيتي على موقفهما المعارض للصهيونية. وبالرغم من كل ما حدث في روسيا من تغيرات مهمة منذ ثورة أكتوبر في الشؤون الداخلية والخارجية فإن السياسة السوفيتية الرسمية بقيت على موقفها التقليدي المعارض للأهداف الصهيونية. وظل

---

(٤) Vladimir Lenin, *On the Jewish Question* (New York: International Publishers, 1934), p. 56.

(٥) Leon Trotsky, *Leon Trotsky Speaks,* ed. Sarah Lovell (New York: Pathfinder Press, 1972), p. 212.

(٦) J. Stalin, "Marxism and the National Question," *Collected Works,* Vol. 11 (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1953), p. 300.

(٧) Stalin, "Marxism," p. 300.

السوفييت يعارضون السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، إذ أنهم اعتبروا ذلك هروبًا من الصراع الطبقي الشاق الذي لا بد منه لبناء مجتمعهم السوفيتي. وكان المسؤولون السوفييت لا يرون في الصهيونية حركة رجعية فحسب وإنما أيضًا حركة استقلالية يقوم من خلالها اليهود الرأسماليون باستغلال بني جلدتهم من يهود الطبقة العاملة.(٨) وبالإضافة إلى ذلك، فإن السوفييت اعتبروا الصهيونية حركة تستغلها وتتلاعب بها الإمبريالية البريطانية. وكان من رأيهم أن بريطانيا كانت تستغل انتدابها على فلسطين فتشجع الميول الصهيونية لليهود وتغذيها لكي تستخدمهم دمى في يدها وتتلاعب بهم وفق أهوائها وبذلك تضمن بريطانيا إحكام قبضتها على المنطقة.(٩)

وعلى أي حال فإن الهجوم النازي على الاتحاد السوفيتي في حزيران عام ١٩٤١م أدى إلى إحداث تغييرات واسعة في سياساته وتكتيكاته الخارجية والداخلية. فقد أخذ السوفييت

---

(٨) Walter Laqueur, *The Soviet Union and the Middle East* (New York: Frederick A. Praeger, 1959), p. 34.

(٩) وللدلالة على مدى المشاعر المعادية للصهيونية في أوساط الرأي العام السوفييتي لا بد من الإشارة إلى قضية جابوتنسكي ـ سلافنسكي عام ١٩٢١م (Jabotinsky-Slavinsky Affairs). ففي الرابع من أيلول عام ١٩٢١م وقع فلاديمير جابوتنسكي — الذي أصبح فيما بعد زعيم اليمين الصهيوني — على اتفاقية مع مكسيم سلافنسكي (وكان يمثل سيمون بيتليورا Simon Petlyura الزعيم الأوكراني الذي أصبح عام ١٩١٩م رئيسًا للحكومة المؤقتة في أوكرانيا وقائدًا لقواتها العسكرية، وكانت أوكرانيا تحارب من أجل استقلالها عن الاتحاد السوفييتي خلال الفترة بين عامي ١٩١٧ ـ ١٩٢٠م) يسمح له بموجبها بتأسيس قوة عسكرية يهودية مسلحة تتبع الجيش الأوكراني في المنفى أثناء زحفه لغزو أوكرانيا وطرد السوفييت منها. وكانت مهمة هذه القوة الاهتمام بسلامة اليهود في المدن التي كان يأمل الجيش الأوكراني في استردادها من السوفييت. ولم يتمخض هذا الغزو عن شيء في الواقع. وحقيقة الأمر أن خطة تشكيل قوة يهودية لم تنفذ قط غير أن القضية أصبحت معروفة للجميع بطريقة ما وأدت إلى اندلاع نقمة وغضب شعبيين. وقد أدت هذه القضية إلى ظهور عواطف معادية للصهيونية بين مواطني الاتحاد السوفييتي وفي الأوساط اليسارية والشيوعية في أماكن أخرى. كما أثارت هذه القضية نقمة على الاتحاد اليهودي الانفصالي.

Jacob Hen-Tov. "Contacts Between Soviet Ambassador Maisky and Zionist Leaders During World War II," *Soviet Jewish Affairs* (1948), 46-55.

يقومون بتعبئة جميع إمكاناتهم لمقاومة الغزو النازي. واتبعوا سياسة أكثر تساهلاً وليبرالية في علاقاتهم الخارجية مع الدول الغربية مما مهّد للدخول معها فيما بعد في تحالف ضد ألمانيا النازية. أما بالنسبة للناحية الداخلية فقد لجأ السوفييت إلى تخفيف القيود المفروضة على الأقليات الدينية والعرقية والقومية في روسيا لكسبها إلى جانبهم في صراعهم المصيري ضد النازيين. ففي عامي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣م توصل السوفييت إلى اتفاق مع الكنيسة الأرثوذكسية تتمتع الكنيسة بمقتضاه بقسط من الحرية والاستقلالية، وذلك بهدف كسب دعم الفئات الروسية المتدينة وتأييدها.

من ناحية أخرى، بدأت بوادر تقارب بين السوفييت والمنظمة الصهيونية مع تصاعد القتال على الجبهة الروسية ومع بروز الولايات المتحدة أثناء الحرب كقوة عالمية لها تأثيرها وأهميتها في مجرى الأحداث وتطورها. وكان السوفييت يُدركون منذ البداية أهمية الدور الذي كان بمقدور اليهود القيام به في التأثير على القرار السياسي الأمريكي. ونظرًا للحاجة السوفييتية الملحة إلى مساعدات الولايات المتحدة العسكرية للتخفيف من الضغط العسكري الألماني عليها، بادر السوفييت إلى تحسين علاقاتهم مع القيادات الصهيونية في الدول الغربية بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص.[١٠]

كما أن هذه القيادات الصهيونية لم تجد حرجًا في استغلال تطور الظروف السياسية والعسكرية على الجبهة الروسية لتبدأ مساعيها الجدية لإيجاد قنوات اتصال مع الاتحاد السوفييتي — على الرغم من مواقفه العقائدية المعلنة والمعادية للصهيونية — وذلك لاعتبارين رئيسين: أولهما أن الاتحاد السوفييتي قوة ستلعب دورًا في تقرير مستقبل العالم بعد الحرب،[١١] وثانيهما وجود أعداد كبيرة من اليهود السوفييت الذين سيشكلون أكبر احتياطي بشري للهجرة إلى الدولة اليهودية فور تأسيسها في فلسطين.

---

(١٠) عبدالرحيم أحمد حسين، *النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية* (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م)، ص ٢٤٢.

(١١) حسين، *النشاط الصهيوني*، ص ٢٤٢.

بدأت الاتصالات الأولية بين ممثلي القيادات الصهيونية والاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١م بمبادرة من الجانب الصهيوني. ففي السابع عشر من تموز من ذلك العام، أي بعد أقل من شهر من بدء الهجوم النازي على الاتحاد السوفييتي قام عدد من زعماء اليشوف (المستوطنون اليهود المقيمون في فلسطين) برفقة بعض الزعماء الصهاينة في الولايات المتحدة بمقابلة أومانسكي Umansky السفير السوفييتي في واشنطن.(١٢) وكان الهدف المفترض لذلك الاجتماع التأكيد للحكومة السوفييتية بأن الجاليات اليهودية في العالم على أتم استعداد لدعم السوفييت سياسيًا وماديًا طيلة حربهم ضد ألمانيا النازية. أما الهدف الحقيقي الذي كان يسعى الجانب الصهيوني للوصول إليه من وراء ذلك الاجتماع فهو تمهيد الطريق أمام قيام دولة يهودية في فلسطين لا سيما وأن الاتحاد السوفييتي قد أخذ يظهر كقوة عالمية لها تأثيرها. ولذا فإن الصهاينة كان يهمهم التأكد من أن الاتحاد السوفييتي سيقف إلى جانبهم فيما إذا وصلت الأمور إلى حد المواجهة أو الكفاح المسلح من أجل الحصول على دولتهم. وقد قدم كثير من الزعماء الصهاينة للمسؤولين السوفييت وعودًا وتأكيدات متعاطفة معهم، متعلقة بالمسار السياسي المستقبلي للدولة اليهودية فيما لو تم تأسيسها. وكان السوفييت يدركون أن هؤلاء الزعماء الصهاينة من ذوي الميول اليسارية ويتمتعون بمكانة مهمة تتيح لهم المجال لتبؤ مراكز قيادية في الدولة اليهودية. وفي المقابل لم يتلق السوفييت أي وعود أو تأكيدات من الجانب العربي على الإطلاق.(١٣)

وللتعبير عن تقديرهم لهذه التأكيدات الصهيونية أوعز المسؤولون السوفييت في الرابع والعشرين من آب عام ١٩٤١م ببث برنامج خاص عبر إذاعة موسكو موجهًا لليهود في جميع أنحاء العالم مخاطبًا إياهم بالإخوة اليهود Brider Yiden وتضمن البرنامج حديثًا للشاعر اليهودي بيرتس ماركيش Perets Markish أشار فيه إلى «أن اليهود أصبحوا الآن شعبًا واحدًا وجيشًا واحدًا ولن يفصل المحيط بينهم بعد الآن.(١٤)

(١٢) Bernard D. Weinryb in *the Jews in The Soviet Satellites* (New York: Frederick A. Praeger, 1953), p. 224.

(١٣) Weinryb, p. 224.

(١٤) J. B. Schechtman in *The Jews in Soviet Russia Since 1917*, ed. Lionel Kochan (London: Institute of Jewish Affairs, 1978), p. 121.

وعلى أي حال فإن الصهاينة لم يوفقوا أنشطتهم طيلة الحرب العالمية الثانية ولم يتراخوا في ممارسة ضغوطهم التي كانت تستهدف في النهاية إقامة دولة لهم. واستمر الدكتور حاييم وايزمن زعيم المنظمة الصهيونية العالمية ودافيد بن جوريون زعيم اليشوف في فلسطين، وكلاهما كانا يمثلان أيضًا الوكالة اليهودية — في متابعة الممثلين السوفييت لشرح الأهداف الصهيونية لهم وإقناعهم بتخفيف القيود عن الهجرات اليهودية ولا سيما اليهود البولنديين الذين انقطعت بهم السبل خلال الحرب في الاتحاد السوفييتي فناشداهم السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين.[١٥]

كان لدى الصهاينة، على ما يبدو، وعي سياسي يكفي لأن يدركوا أن لا شيء يتحقق بالمجان، إذ لم يكن هناك خدمات غير مشروطة ولا سيما بين الأمم وفي الساحة السياسية الدولية. ولذلك فقد واصلت المؤسسات الصهيونية تقديم معوناتها للاتحاد السوفييتي بانتظام، وكلما دعت الحاجة إليها. فقد بادرت الهستدروت (هيئة العاملين) في أواخر عام ١٩٤١م إلى الإعلان عن حملة عاجلة لجمع الإمدادات الطبية للمقاتلين الروس. وتمكنت الحملة في آب عام ١٩٤٢م من جمع مبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني، وقام كومر مندوب الهستدروت في العاصمة البريطانية بتسليم إيفان ما يسكي Ivan Maisky السفير السوفييتي في لندن آنذاك ما تم تأمينه من إمدادات طبية اشتريت بهذا المبلغ الذي جمعته الحملة من التبرعات.[١٦]

ولا شك أن في قبول السوفييت للعون الصهيوني الطبي دلالات سياسية واضحة إلى جانب الدلالات الإنسانية المعروفة. فموافقة السوفييت على قبول العون يحمل في طياته مبدأ الاعتراف بوجود الحركة الصهيونية،[١٧] كما أن قبول المعونة في العاصمة البريطانية يمكن تفسيره «بأن الحركة الصهيونية تقف إلى جانب الحلفاء في حربهم ضد النازية وأن السوفييت لا يرون حرجًا في التعامل مع حركة أعلنت موقفًا معاديًا للنازية منذ بداية الحرب.»[١٨]

---

(١٥) Hen-Tov, pp. 46-55.

(١٦) Aharon Cohen, *Israel and the Arab World* (London: W. H. Allen, 1970), p. 268.

(١٧) حسين، *النشاط الصهيوني*، ص ٢٤٣.

(١٨) حسين، *النشاط الصهيوني*، ص ٢٤٣.

وقد تشجعت بعض القيادات الاشتراكية والشيوعية اليهودية وأعلنت في نهاية نيسان عام ١٩٤٢م تشكيل لجنة عامة ضمت الكثير من اليهود السوفييت أسمتها اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية. وكان الهدف الرئيس من وراء تشكيل هذه اللجنة بلورة رأي عام مؤيد للسوفييت بين اليهود الغربيين وذلك لمساندة الاتحاد السوفييتي في حربه ضد النازية. ولم يمض شهر واحد على تأسيسها حتى تحولت هذه اللجنة في أيار من العام نفسه إلى منظمة أكثر اتساعًا سميت «عصبة النصر» Victory League (واشتهرت باسم عصبة V). وأعلنت العصبة أن هدفها جمع الأموال والمساعدات لإغاثة ضحايا الحرب من السوفييت. فأرسلت أموالاً نقدية ومعدات طبية وغيرها إلى السلطات السوفييتة في طهران التي احتلها الحلفاء، على أن يصار إلى إرسالها إلى جبهات الحرب في الاتحاد السوفييتي. كما حصلت العصبة من شركة البوتاس الفلسطينية على كميات من معادن البحر الميت ومن البروميد وأرسلتها إلى روسيا.(١٩). وتم تبادل ثقافي بين الطرفين وأقيم في تموز عام ١٩٤٣م معرض سوفييتي في تل أبيب بعنوان «الاتحاد السوفييتي وفلسطين في زمن الحرب»، تلاه في كانون الثاني عام ١٩٤٤م معرض صهيوني في موسكو يبين المراحل التي قطعها الاستيطان في فلسطين.(٢٠)

هذا وعقدت العصبة أول مؤتمر لها في القدس في صيف عام ١٩٤٢م شارك فيه مائتان وخمسون عضوًا،(٢١) وتمكن الصهاينة من إقناع دبلوماسيين سوفييتيين وهما سكرتير السفارة السوفييتية في أنقرة وملحقها الصحفي بالمشاركة في المؤتمر وزيارة فلسطين لمدة عشرة أيام.(٢٢) وكان محور الحديث الصهيوني يدور حول فكرتين رئيستين: أولاهما التحالف المشترك ضد النازيين، وثانيتهما تأمين التأييد السوفييتي لمشروع الدولة اليهودية في فلسطين. وقد استمع الدبلوماسيان السوفييتيان إلى كلتا الفكرتين ولكنهما اكتفيا في حديثهما بالتركيز على الجهد

---

(١٩) Weinryb, p. 226.

(٢٠) Ibid.

(٢١) Cohen, p. 360.

(٢٢) الدبلوماسيان السوفييتيان هما: سيرجي ميخائيلوف Sergey Mikhailov ونيقولاي بيترنيكو Nikolai Petrenko.

Yaacov Ro'i in *The U.S.S.R. and the Middle East*, eds. Michael Confino and Shimon Shamir (Jerusalem: Israel Universities Press, 1973), p. 123.

الحربي المشترك في القتال ضد النازيين والفاشيين وإن عبرا بين الحين والآخر عن تأييدهما للإنجازات الصهيونية الاستيطانية في فلسطين، وخاصة في مجال بناء الكيبوتسات (المستوطنات القائمة على الملكية العامة)، ولم ينس الدبلوماسيان السوفييتيان التطرق إلى المساعدات والمعونات التي قدمها الصهاينة للاتحاد السوفييتي، وعبرا عن تقدير الشعب السوفييتي لهذا الموقف الإيجابي ولم يخفيا رغبتهما في تقوية الروابط ودعمها بين الطرفين.(٢٣) ويلاحظ المتتبع لزيارة الدبلوماسيين السوفييتيين لفلسطين وجود تعارض في موقفهما. ففي الوقت الذي كان كلاهما يعبران عن تأييدهما للأعمال الصهيونية في فلسطين كان أحدهما وهو سكرتير السفارة سيرجي ميخائيلوف يلتقي بالزعماء العرب ويؤكد لهم ضرورة التعايش بسلام مع اليهود. وقد تعهد لهم بأن الاتحاد السوفييتي لن يوافق على قيام دولة يهودية مستقلة في فلسطين، كما لن يسمح أبدًا لليهود البولنديين الموجودين في روسيا بالهجرة إلى فلسطين كي لا يسبب ذلك مزيدًا «من الاستفزازات للعرب ويؤدي إلى تصاعد التوتر والاضطرابات.»(٢٤)

غير أنه لم تمض فترة قصيرة حتى بدأ السوفييت أنفسهم في أواخر عام **١٩٤٣م** الاتصال بالصهاينة والتعبير عن اهتمامهم الجدي بالمشكلة اليهودية والمشروعات الاستيطانية في فلسطين ضمن إطار الاستعدادات القائمة بين دول الحلفاء للتوصل إلى تسويات سياسية مقبولة في العالم. وكان السوفييت بالنسبة للمشكلة اليهودية يعملون بفرضية مزدوجة: (ا) أن المشكلة اليهودية ستصبح مشكلة عالمية ملحة في نهاية الحرب، ولذا فإن (ب) السوفييت كإحدى القوى العالمية الثلاث الرئيسة لا بد وأن يتبنوا موقفًا واضحًا حول هذه القضية كباقي القضايا والمشكلات التي تتطلب تسوية خلال مجرى المفاوضات السلمية.(٢٥)

وفي تشرين الأول عام **١٩٤٣م** قام إيفان مايسكي، سفير الاتحاد السوفييتي السابق في لندن ونائب وزير الخارجية السوفييتية آنذاك بزيارة لفلسطين بعد انتهاء مهمته

---

(٢٣) Cohen, p. 360.

(٢٤) *Foreign Relations of United States,* Diplomatic Papers, Vol. v., (1944), Near East, South Asia and Africa (Palestine).

(٢٥) Cohen, p. 361.

الدبلوماسية في لندن. وأخذ مايسكي يتنقل بين عدد من الكيبوتسات، وصاحبه في زيارته للكيبوتسين «كريات أنا فيم» و «معلاهامشا» كل من دافيد بن جوريون وجلدا مئير واليعازر كابلان من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، وأجرى مايسكي معهم محادثات مطولة وناقشهم في مشكلات الاستيطان اليهودي في فلسطين.(٢٦) ومن اللافت للنظر أن مايسكي لم يجتمع بأي من المسؤولين العرب ولم يحاول الاطلاع على حقيقة ظروف الفلسطينيين تحت الانتداب ومعاناتهم من الاستيطان الصهيوني، وإنما اكتفى بالاجتماع بشخصيات رسمية يهودية.

وكان تعليق جولدا مئير على هذه الزيارة قولها: «من الواضح أن الزيارة التي قام بها مايسكي إلى فلسطين لم يكن يقصد منها المجاملة بعد لقاءاته المتتالية مع كل من موشيه شاريت ولوكر وبن جوريون في لندن. إن حقيقة ما هدف إليه مايسكي من وراء هذه الزيارة هو أن يتعرف على إمكانات البلد وما يمكن عمله فيها. كما أنه رغب في تكوين صورة حقيقية عن الأوضاع العامة في فلسطين ليتسنى له تقديم الرأي الذي يخدم مصلحة بلده لدى اتخاذ السوفييت موقفهم إزاء المشكلة الفلسطينية.(٢٧) وقد بادر مايسكي إلى تقديم تقرير مفصل عن زيارته قدمه للكرملين، وتشير المصادر الصهيونية إلى أن التقرير كان متعاطفًا مع الأهداف التي كان يسعى الصهاينة إلى تحقيقها في فلسطين.(٢٨)

وفي إشارة واضحة إلى مايسكي نقل عنه إلياهو بن هورين رئيس تحرير Palestine News Service قوله إلى ممثلي الوكالة اليهودية: «. . . إذا ما عدنا إلى الوراء للعشرينات من هذا القرن فإنه لم يكن بوسعنا أن نرى في الصهيونية سوى أداة اللإمبريالية البريطانية. وكنا مضطرين لمعاملتكم على هذا الأساس. أما الآن فإن الموقف تغير برمته، إذ أصبح الأمر لا يقتصر على خلاف مستمر بين بريطانيا والصهيونية، كما أن نظرتنا أيضًا قد تبدلت بصورة جذرية. وإذا ما أبدت روسيا السوفييتية اهتمامًا بالشرق الأوسط في المستقبل فإن من الواضع

(٢٦) Ibid.

(٢٧) Ibid.

(٢٨) Ibid.

أن اليهود الاشتراكيين والتقدميين في فلسطين سيكونون أكثر فائدة لنا من العرب المتخلفين الذين تسيطر عليهم مجموعات إقطاعية من الباشوات والأفندية . . . .»[٢٩] ويبدو واضحًا مما جاء في حديث المسؤول السوفييتي مدى التغير الذي طرأ على موقف الزعامة السوفييتية وتوجهها إزاء قضايا الشرق الأوسط في أوائل الأربعينات. ومن الواضح أن الصهاينة مارسوا ضغوطًا شديدة من وراء الكواليس من أجل قضيتهم ونجحوا في اجتذاب اهتمام موسكو.

ومن أبرز الذين لعبوا دورًا مهمًا في التأثير على نظرة السوفييت نحو الصهيونية شخصان ينتميان إلى اليسار الصهيوني هما موردخاي أورين Mordechai Oren وموشيه سنيح Moshe Sneh . بالنسبة لأورين فقد كان شخصية مثيرة للجدل سياسيًّا عمل داعية للصهيونية في شرق أوربا، وكان ينتمي للجناح اليساري من حركة هاشومير هاتزعير (الحارس الفتى) Hashomer Hatzair. ووصف أورين أنشطته بقوله: «كانت أنشطتي منذ عام ١٩٤٥م ذات طابع ريادي في المجالين السياسي والدبلوماسي (وإن كان ذلك بشكل غير رسمي) بل وحتى أيضًا في مجال الدعاية الجماهيرية في الصحف والإذاعة . . . وكنت أؤدي مهمتي باسم حركة هاشومير هاتزعير وربما كان عملي أشد وأكثر فعالية من عمل الكثير من الرسميين لأنني كنت أعبر عنه باللغة العقائدية والسياسية التي تفهمها تلك الأنظمة في أوربا الشرقية.»[٣٠] وفي معرض تعليقه على الموقف السوفييتي تجاه الدولة اليهودية أبدى اورين ملاحظة مهمة بقوله: «. . . إنني أيقنت حتمية التوجه الروسي إلى تبني فكرة الدولة اليهودية وذلك منذ عام ١٩٤٤م في أعقاب الانتهاء من حديث طويل مع فيدور جوسيف Fedor Gusev السفير السوفييتي في لندن.»[٣١] وأما موشيه سنيح فقد احتل مراكز قيادية مهمة كقائد عام للهاجاناة (وتعني الدفاع وهي المنظمة العسكرية الصهيونية الرئيسة) لمدة ستة أعوام، وفي عام ١٩٤٦م أصبح مديرًا للوكالة اليهودية في أوربا، واتخذ باريس مقرًّا له. وكان سنيح من

---

(٢٩) Arnold Krammer, "Soviet Motives in the Partition of Palestine, 1947-48," *Journal of Palestine Studies*, 6 (January, 1973), 109.

(٣٠) Letter from Mordechai Oren to Arnold Krammer, March 7, 1969; as quoted in Krammer, "Soviet Motives," p. 105.

(٣١) Ibid.

المتحمسين للاشتراكية وساعد في تأسيس حزب مابام الاشتراكي. وبعد ست سنوات انفصل عن حزب المابام (العمال الموحد) وتزعم مجموعة منه وقادها إلى الحزب الشيوعي الذي أصبح سكرتيراً له حتى وفاته عام ١٩٧٢م. وفي رأي أحد المراقبين عام ١٩٥٧م» . . . إن سنيح كان من الممكن أن يصبح رئيس الحكومة لو أنه لعب بأوراقه بحكمة واتزن في طموحه.»[٣٢] وقد أعلن سنيح مراراً أثناء الحرب وبعدها، عن اعتقاده بأن «الدولة اليهودية المنشودة ستحقق مكاسب أكثر إذا ما ارتبطت بالاتحاد السوفييتي بدلاً من لندن أو واشنطن.»[٣٣] ولا مراء في أن هذه التعابير القوية من التأييد والدعم للاتحاد السوفييتي والصادرة عن مسؤولين صهاينة كبار كان لها تأثيرها على قرار الاتحاد السوفييتي تأييد مشروع التقسيم وإقامة دولة يهودية على أمل أن تكون لهذه الدولة الجديدة ميول تقدمية وسياسات يسارية وأن تكون حليفة للاتحاد السوفييتي.

ومن المؤشرات على مزيد من التحول في الموقف السوفييتي ما ورد على لسان ستالين في تموز عام ١٩٤٤م أثناء حديثه مع إميل سومر شتاين Emile Somerstein عضو الحكومة البولندية المؤقتة التي أنشئت في ذلك الشهر، بأن «الاتحاد السوفييتي سيؤيد حلاً دولياً للمشكلة اليهودية في نهاية الحرب.»[٣٤] في حين أن مالينكوف نقل عنه قوله في المناسبة نفسها بأن «الشعب اليهودي يجب أن يحظى بتلبية مطالبه الإقليمية في فلسطين.»[٣٥]

يلاحظ أن الاتحاد السوفييتي في أعقاب الحرب العالمية الثانية بدأ تأييده لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين يتخذ عدة صور واضحة. ففي شباط عام ١٩٤٥م عقد مؤتمر نقابات العمال العالمي بلندن وصوت الوفد السوفييتي إلى جانب قرار يؤيد إقامة «وطن قومي لليهود»

(٣٢) Judd L. Teller, *The Kremlin, the Jews and the Middle East* (New York: Thomas Yoseloff, 1957), p. 142.

(٣٣) Marlin Ebon, "Communist Tactics in Palestine," *Middle East* Journal, No. 3 (July, 1948), 266-67.

(٣٤) وردت ضمن مقابلة أجراها مراسل JTA في تل أبيب مع موشيه سنيح. لمزيد من التفاصيل انظر: *Jewish Telegraphic Agency Daily News Bulletin* (September 4, 1945), p. 2.

(٣٥) نقلاً عن أحد المسؤولين السوفييت الذين استقبلوا وفد عصبة V في طهران لتسلم الأجهزة الطبية وسيارات الإسعاف، انظر: Ro'i, p. 142.

في فلسطين. ونص القرار أيضًا على «ضرورة إيجاد علاج أساسي عن طريق عمل دولي لإصلاح الخطأ الذي وقع على الشعب اليهودي. وينبغي أن تكون حماية اليهود من الاضطهاد والتمييز في أي بلد في العالم من واجب السلطات الدولية الجديدة. كما ينبغي إعطاء اليهود الفرصة في الاستمرار لبناء فلسطين كوطن قومي عن طريق: الهجرة، الاستيطان الزراعي، الإنماء الصناعي، على أن يكون ذلك مقرونًا بتأمين المصالح الشرعية لكل السكان في فلسطين وتأمين المساواة في الحقوق والفرص كذلك.»[٣٦]

كما اتفق ستالين مع كل من روزفلت وتشرتشل في مؤتمر يالتا في شباط ١٩٤٥م أيضًا على ضرورة إنشاء «وطن قومي يهودي» في فلسطين وعلى وجوب فتح سريع للأبواب التي كانت تعوق الهجرة اليهودية إلى فلسطن مقابل السماح للسوفييت بإقامة مناطق نفوذ لهم في أوربا الشرقية.[٣٧] وبادر الاتحاد السوفييتي في تموز من العام نفسه إلى الاعتراف بالوكالة اليهودية وسمح لها بفتح مكتب في موسكو.[٣٨]

وهكذا أصبح الجو مهيأً لاعتراف السوفييت بالدولة اليهودية عام ١٩٤٨م، ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل كان من أبرزها مساعي الصهيونية النشيطة في استمالة السوفييت إلى جانبهم، وإقناعهم بأن وجود دولة يهودية في فلسطين سيقدم أفضل الخدمات لمصالح الاتحاد السوفييتي.

---

(٣٦) حسين، *النشاط الصهيوني*، ص ٢٥٠؛ *Jewish Chronicle*, (February 23, 1945), p. 3.

(٣٧) نقلاً عن ستيفن وايز Stephen Wise (رئيس الكونجرس اليهودي العالمي) الذي استمد هذه المعلومات من الرئيس الأمريكي روزفلت. انظر Ro'i, p. 142. ومن اللافت للنظر أن وثائق مؤتمر يالتا تشير إلى أن الرئيس روزفلت قال لستالين: إنني أعتبر نفسي صهونيا فما قولك أنت؟ فأجابه ستالين بأنه يعتبر نفسه ميالاً للصهيونية من حيث المبدأ. ولكنه يرى العديد من العقبات في وجه تحقيق الهدف الصهيوني. انظر:

U.S. Government, National Archives, World War II Conferences: Yalta Conference Reports and Documents (Memos of Conversations and Meetings), 1945.

(٣٨) Nathan Weinstock, *Zionism: False Messiah* (London: Ink Links, 1979), p. 263.

مداولات الأمم المتحدة

أدى القرار البريطاني الذي أعلنه تشرتشل في نهاية شباط عام ١٩٤٥م والمتضمن عدم عرض القضية الفلسطينية للمداولات في المؤتمرات الدولية إلى حرمان الاتحاد السوفييتي من فرصة مناسبة للتدخل العملي في شؤون فلسطين. واستمر السوفييت على موقفهم منطلقين من إطار التنسيق المفترض بين القوى الثلاث المتحالفة، حيث لم يكن لديهم وسيلة أخرى للتدخل في فلسطين إلا كقوة كبرى ضمن تسوية سلمية عالمية شاملة. وبالرغم من أن السوفييت مارسوا ضغطًا كبيرًا على بريطانيا للموافقة على عرض القضية الفلسطينية أمام المؤتمر التأسيسي للأمم المتحدة المنعقد في سان فرنسيسكو في أيار عام ١٩٤٥م،(٣٩) إلا أن بريطانيا استمرت في رفضها عرض القضية على المنظمة الدولية. ولم يتغير موقف بريطانيا إلا في شباط عام ١٩٤٧م حين أعلن إرنست بيفن Ernest Bevin عزم الحكومة البريطانية على تحويل قضية انتدابها على فلسطين إلى الأمم المتحدة.

امتنع السوفييت خلال الفترة بين منتصف عام ١٩٤٥م حتى مطلق عام ١٩٤٧م عن إصدار أي بيانات أو تصريحات رسمية حول موقفهم من مستقبل فلسطين السياسي، طالما أن القضية الفلسطينية لم تنتقل للمنظمة الدولية كقضية تتطلب حلًّا عمليًّا. ولكنهم من ناحية أخرى اتخذوا عددًا من الخطوات العملية التي تخدم الأهداف الصهيونية، وبشكل خاص سهلوا عملية الهجرة للعديد من يهود بولندا إلى مناطق احتلال الحلفاء في النمسا وألمانيا مدركين أن هؤلاء المهاجرين سيتوجهون في النهاية إلى فلسطين. وكان السوفييت يهدفون من وراء ذلك إلى استغلال الصهاينة في الضغط على بريطانيا والولايات المتحدة للإسراع في إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة. كما أن السوفييت لم يخفوا قلقهم من تزايد التنسيق الأمريكي البريطاني حول فلسطين والذي بدا واضحًا في تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية لاستقصاء الحقائق في فلسطين «المنشور في أيار عام ١٩٤٦م. وقد اتضح من التقرير أن بريطانيا كانت تسعى جاهدة إلى جذب الولايات المتحدة للوقوف إلى جانبها

---

(٣٩) Eliahu Elath, *Yoman San Francisco* (Tel Aviv: Dvir, 1971); as quoted in Ro'i, p. 124.

والقضاء على أي احتمال للتدخل السوفييتي في فلسطين والشرق الأوسط.[٤٠] وقد ورد الكثير من هذه المعلومات في كتاب بارتلي كرم Bartley Crum الذي نشره حول اللجنة ومهامها عام ١٩٤٧م وتناقلته الصحافة السوفييتية بكل تفاصيله.[٤١]

وعلى أي حال، فإن الصهاينة لم يتوقفوا من جانبهم عن ممارسة مزيد من الضغوط على السوفييت. فقد أرسلوا مجموعات من ممثلي الأحزاب الصهيونية اليسارية بما فيها حزب هاشومير هاتزعير لإجراء اتصالات مع أعضاء الوفد السوفييتي في الأمم المتحدة. وكان من بين الذين ترأسوا إحدى المجموعات السكرتير السياسي لحزب المابام، ناتان بيليد Natan Peled الذي نجح في إقامة علاقة وثيقة مع الكسندر كراسيلنيكوف Alexander Krasilnikov أحد أعضاء الوفد السوفييتي. وكان مما كتبه بيليد عن كراسيلنيكوف: «. . . لم يكن يعرف الكثير عن القضية الفلسطينية، ولذا فإن اجتماعاتنا تركزت حول تزويده بمعلومات مستفيضة عن الصهيونية والاشتراكية الصهيونية. . . وكان كراسيلنيكوف وزملاؤه يزودونني بين الحين والآخر بأسئلة مكتوبة يطلبون الإجابة عليها وتزويدهم بمعلومات دقيقة عنها وخاصة فيما يتعلق بالمستوطنات الجماعية (الكيبوتس) والأحزاب الاشتراكية الصهيونية والمشروعات الاقتصادية وضحايا النازية من اليهود خلال الحرب الثانية. وأدركت أن المعلومات كانت ترسل مباشرة إلى موسكو ولعله كان لها تأثير على موقفها اللاحق تجاه حركتنا، ولكنني لم أستطع التنبؤ آنذاك بما سيكون عليه الموقف تمامًا. ولا أخفي أن كلمة جروميكو كانت مفاجأة حتى بالنسبة لي.»[٤٢]

وفي اجتماع عقده مع كراسيلنيكوف قبل عدة أسابيع من كلمة جروميكو في أيار عام ١٩٤٧م ثار جدل حول مصير اليهود فيما إذا اختار السوفييت موقفًا مؤيدًا للعرب، وكان

---

(٤٠) لمزيد من المعلومات حول أعمال اللجنة وموقف الاتحاد السوفييتي منها انظر:
Richard Crossman, *Palestine Mission* (London: Harper and Brothers, 1947), p. 250; Bartley Crum, *Behind the Silken Curtain* (London: Routledge and Paul, 1946), p. 253.

(٤١) *New Times* (Moscow). (September 8th, 1948), p. 1; Ro'i, p. 130.

(٤٢) Habib Canaan, *Betzeit Ha'Britim* (Tel Aviv, 1958), p. 44; as quoted in Krammer, *The Forgotten Friendship*, p. 37.

مما قاله كراسيلنيكوف لبيليد: «سترى أن سياستنا ستؤدي إلى نهاية مختلفة تمامًا، إذ أننا لن ندعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين فحسب بل سندعم أيضًا حق الأمة اليهودية في تقرير مصيرها.»(٤٣)

وفي نيسان عام ١٩٤٧م وبعد مرور شهرين على إعلان بيفن عزم حكومته على عرض القضية الفلسطينية على المنظمة الدولية أحالت بريطانيا رسميًّا القضية إلى الأمم المتحدة. وهكذا عرضت القضية الفلسطينية في أيار من العام نفسه أمام أول جلسة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة. وفي الرابع عشر من ذلك الشهر ألقى جروميكو خطابًا طويلاً اقترح فيه تصفية الانتداب البريطاني على فلسطين وإنشاء دولة عربية يهودية ثنائية القومية، وإذا تعذر تحقيق ذلك فالبديل — في رأي جروميكو — هو «تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين إحداهما يهودية والأخرى عربية.»(٤٤) وأعلن جروميكو أنه يؤيد البديل الثاني في حالة تدهور العلاقات العربية اليهودية في فلسطين واستحالة التعايش بين الشعبين.(٤٥) كما أسهب جروميكو في الحديث عن حق اليهود التاريخي في فلسطين ومعاناتهم على يد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية وضرورة تقديم كل المساعدات الممكنة لهم.(٤٦)

تلقت الجاليات اليهودية وخاصة في نيويورك وتل أبيب خطاب جروميكو بالحماس والتأييد. وقد عبر بن جوريون عن تأثره الشديد لما ورد في خطاب جروميكو،(٤٧) وأعلن ناطق باسم الوكالة اليهودية بأن موقف الاتحاد السوفييتي الجديد «مهد الطريق لتأسيس الدولة اليهودية.»(٤٨) أما جريدة *ها آرتس* الصهيونية فقد ذكرت أن حديث جروميكو عن

---

(٤٣) Ibid.

(٤٤) United Nations, General Assembly, *Official Records: First Special Session, Plenary Meeting, April 28 - May 15,* pp. 127-135; Krammer, *The Forgotten Friendship*. p. 16.

(٤٥) Krammer, p. 16.

(٤٦) Ibid.

(٤٧) Michael Bar-Zohar, *Ben-Gurion: The Armed Prophet* (Englewood Ciffs, N. J.: Prentice-Hall, 1968), p. 93.

(٤٨) Jewish Telegraphic Agency, *Daily News Bulletin,* May 14, 1947; as quoted in Krammer, *The Forgotten Friendship,* p. 17.

المعاناة اليهودية خلال الحرب الثانية «يتميز على برود كلمات الأنجلو سكسون الجافة.»[٤٩] ومن اللافت للنظر أن جريدة *الدفاع* المقدسية أشارت في عددها الصادر في السادس عشر من شهر أيار إلى أن خطاب جروميكو فتح الطريق أمام العديد من المهاجرين اليهود من بولندا إلى فلسطين.[٥٠]

وفي أعقاب إعلان هذا الموقف السوفييتي الجديد، توجه عدد من زعماء الأحزاب الصهيونية اليسارية إلى جروميكو يشكرونه على موقفه المؤيد لمشروعاتهم الاستيطانية في فلسطين فكان رده عليهم: «... المهم الآن أن تحافظوا على مواقعكم. وإذا نجحتم في الصمود أكثر فإنه سيحدث هناك بلا شك تغيير في الميادين العسكرية والسياسية. ظلوا على اتصال معنا وأخبرونا بأي تغيير يطرأ على وضعكم.»[٥١] وفي نهاية الاجتماع أثار المندوبون الصهاينة مسألة الإمدادات العسكرية من أوربا الشرقية للدفاع عن «الدولة الوليدة» ضد «هجوم عربي متوقع.» وكان جواب جروميكو بأن الدولة اليهودية ستحصل على المساعدات العسكرية من تشيكوسلوفاكيا. وقال: «أعتقد أن بعض الخطوات العملية جرى اتخاذها في هذا المجال. وعلى أية حال فسأتحدث مع المندوب التشيكوسلوفاكي حول هذا الموضوع.»[٥٢]

وفي الوقت نفسه الذي كان ممثلو الأحزاب الصهيونية اليسارية يقومون فيه بدورهم مع المندوبين السوفييت في الأمم المتحدة، وصل إلى نيويورك وفد رسمي يمثل الوكالة اليهودية برئاسة موشيه شاريت (الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للخارجية) يضم في عضويته كلا من إلياهو ايبستين Eliahu Epstein وديفيد هوروفتس David Horowitz. وقد عقد هذا الوفد الصهيوني عدة اجتماعات مع سيمون تسارابكين Seymon Tsaraphin (مستشار السفارة السوفييتية في واشنطن وعضو الوفد السوفييتي للأمم المتحدة) ومساعده بوريس

---

(٤٩) *Ha'aretz* (Tel Aviv) (May 15, 1947), p 1; as quoted in ibid.

(٥٠) *الدفاع* (القدس)، ١٦ أيار ١٩٤٧م.

(٥١) Cannan, p. 46.

(٥٢) Ibid., pp. 47-48.

شتاين Boris Stein وذلك في مبنى القنصلية العامة للاتحاد السوفييتي في نيويورك وتناولت شتى الموضوعات المتعلقة بمستقبل فلسطين وإمكانية قيام دولة يهودية فيها. ويقول ديفيد هوروفتس عضو الوفد الصهيوني في كتابه The State in the Making إن تسارابكين «نهض فجأة وخرج من الغرفة لبضعة دقائق وعاد ومعه زجاجة نبيذ وبضعة كؤوس. وكان ذلك أثناء المناقشات الأولية للأمم المتحدة حيث كان الغموض لا يزال يكتنف موضوع مستقبل فلسطين. واعترانا السرور لدى ملء تسارابكين الكؤوس الخمسة ورفع رأسه قائلاً: لنشرب نخب الدولة اليهودية القادمة.»(٥٣)

وبالرغم من هذه المواقف السوفييتية المتلاحقة والمؤيدة لفكرة تأسيس دولة يهودية في فلسطين كان راديو موسكو في إذاعته العربية يوم ٢٣ أيار عام ١٩٤٧م يقوم بإلقاء اللوم في كل ما يجري في فلسطين على بريطانيا ويتهمها بأنها كانت السبب وراء عدم الوصول إلى تسوية للقضية الفلسطينية حيث إن دورها اقتصر على استغلال البلد وتنفيذ أطماعها الاستعمارية. كما انتقلت الإذاعة السوفييتية لتستعرض قضية الصراع العربي اليهودي واتهمت بريطانيا بأنها هي السبب الكامن وراءه تطبيقًا لمبدئها الاستعماري المشهور «فرّق تسد» واقترحت الإذاعة حلًّا علميًّا واحدًا وهو تأسيس دولة اتحادية مزدوجة القومية على النموذج اليوغسلافي.(٥٤)

هذا الموقف السوفييتي المتأرجح والغامض استمر من أيار حتى أيلول عام ١٩٤٧م. ويعزو Y. Ro'i أسباب هذا التأرجح والغموض في الموقف السوفييتي إلى: (١) عدم اتضاح الرؤية بالنسبة للسوفييت حول الكيفية التي ستصوت بها غالبية الدول لدى طرح مشروع التقسيم على الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها العادية المقبلة. وبطبيعة الحال كان السوفييت حريصين على إرضاء الطرفين المتنازعين خلال هذه الفترة كي لا يلتزموا بالوقوف

(٥٣) David Horowitz, *The State in the Making* (New York: Alfred A. Knopf, 1953) pp. 271-72.

(٥٤) Krammer, *The Forgotten Friendship*, p. 19; The Palestine Communist Union, *Memorandum of the Problem of Palestine to the United Nations Special Committee on Palestine* (Tel Aviv, June 1947), as quoted in ibid.

إلى جانب أحد الطرفين ويكتشفوا فيما بعد أنه الطرف الخاسر؛ (٢) قيام الحكومة المصرية بإحالة مشكلتها مع بريطانيا إلى الأمم المتحدة مطالبة بإعادة النظر في المعاهدة المصرية الإنجليزية لعام ١٩٣٦م وانسحاب القوات البريطانية من منطقة قناة السويس. وقد رأى السوفييت أن لا مبرر للإصرار على الانسحاب البريطاني من فلسطين طالما أن مجلس الأمن لا يزال ينظر في طلب مصر إجلاء القوات البريطانية عنها.(٥٥)

غير أن الظروف الدولية بدأت تتغير في مطلع شهر أيلول. ففي الثالث منه نشرت سكرتارية الأمم المتحدة تقرير اللجنة الخاصة لفلسطين UNSCOP ، وقد وافق الأعضاء الأحد عشر في اللجنة بالإجماع على إنهاء الانتداب البريطاني وبالرغم من اختلافهم حول الاتفاق على إنشاء دولة اتحادية تضم العرب واليهود أو إنشاء دولتين مستقلتين، إلا أن الغالبية في النهاية تبنت تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين مع إقامة اتحاد اقتصادي بينهما.(٥٦) وفي العاشر من أيلول تم إبعاد الطلب المصري المتعلق بتعديل معاهدة ١٩٣٦م مع بريطانيا عن جدول أعمال مجلس الأمن بعد أن عارضه جميع أعضاء المجلس باستثناء الاتحاد السوفييتي وبولندا.(٥٧) وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه قرر البريطانيون نتيجة للتطورات السابقة الجلاء عن فلسطين والبقاء في مصر.(٥٨)

وعند هذا الحد أدرك السوفييت أن التوجه العالمي العام يسير نحو تبني التقسيم وإقامة دولة يهودية في فلسطين، ولذا فإن الاستراتيجيين السوفييت وجدوا أن وقوف بلدهم في الأمم المتحدة إلى جانب إنشاء دولة يهودية قد يوفر لهم موطىء قدم في الشرق الأوسط، لا سيما وأن «الدولة الوليدة» ستكون مدينة للاتحاد السوفييتي لموقفه المؤيد لقرار التقسيم. وهكذا

(٥٥) Ro'i, p. 126; Elizabeth Monroe, *Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956* (London: Methuen, 1965), p. 157.

(٥٦) Ro'i, p. 1277; United Nations, General Assembly, *Official Records: Second Session, Supplement No. 11, UNSCOP Report to the General Assembly, 1948*, pp. 47-49.

(٥٧) United Nations, Security Council, *Official Records: Second Year Meeting Records, August 29 - September 10, 1947;* see also Ro'i, p. 127.

(٥٨) Ibid.

فقد بادر الاتحاد السوفييتي على لسان تسارابكين في الثالث عشر من تشرين الأول عام ١٩٤٧م إلى الإعلان من على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن مشروع التقسيم هو أفضل الحلول لا سيما بعد فشل التعايش العربي اليهودي، واعتبر المشروع «خطوة عظيمة إلى الأمام في طريق حل القضية الفلسطينية بأكملها.»(٥٩) وفي السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني وقبل ثلاثة أيام من التصويت على المشروع في الجمعية العامة حدد جروميكو موقف الاتحاد السوفييتي الرسمي من تأسيس دولة يهودية في كلمته التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. وكان مما ورد في كلمته: «إن ممثلي الدول العربية يزعمون أن مشروع قرار تقسيم فلسطين سيذكره التاريخ على أنه قرار غير عادل وغير منصف. ولكن وجهة النظر هذه غير مقبولة لأن للشعب اليهودي حقًّا تاريخيًّا وثيقًا في فلسطين. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يتحتم علينا عدم تجاهل الظروف التي وجد الشعب اليهودي نفسه فيها نتيجة للحرب. إن حل القضية الفلسطينية على أساس دولتين منفصلتين له دلالة تاريخية كبيرة، إذ أن هذا القرار سيحقق المطالب الشرعية للشعب اليهودي، حيث إن مئات الألوف منهم — كما تعلمون — لا يزالون بدون وطن أو مأوى.» وأضاف جروميكو قائلاً في كلمته: «... كما أن قرار التقسيم سيخدم مصالح الجماهير العربية واليهودية....»(٦٠) أي أنه وافق على «مناصفة» فلسطين بين العرب الذين كان يتجاوز عددهم المليون والثلث واليهود الذين قدموا إلى فلسطين قبل بضع سنوات وعددهم لم يتجاوز ٦٠٠ ألف نسمة، أي أقل من نصف السكان العرب.(٦١) وكان التبرير الذي استخدمه جروميكو في هذا الصدد هو «أن قضية فلسطين لا تمس مصالح اليهود في فلسطين وحدها وإنما تمس أيضًا مصالح اليهود في شتى أنحاء العالم.» وهذا تبرير يناقض رأي لينين بأن إضفاء صفة الأمة على اليهود «يمثل الرجعية السياسية.» كما أن التمسك «بالقومية اليهودية» يتعارض ومصالح البروليتاريا

---

(٥٩) *New York Times,* October 14, 1947, p. 8; see also Krammer, *The Forgotten Friendship*, p. 20.

(٦٠) United Nations General Assembly, *Official Records: Second Session, Plenary Meeting,* November 26. 1946, pp. 1360-61.

(٦١) United Nations, General Assembly, *Official Records: Ad Hoc Committee on The Palestine Question, Second Session, 1947*, p. 108.

اليهودية.[٦٢] ودافع جروميكو أيضًا عن اقتراح باستخلاص حق استثنائي لممثلي الوكالة اليهودية ليسمح لهم بالاشتراك في مناقشات الجمعية العامة.

وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧م حصل مشروع التقسيم على أغلبية الأصوات في الجمعية العامة للأمم المتحدة. فقد صوتت إلى جانبه ٣٣ دولة وعارضته ١٣ دولة وامتنعت عن التصويت ١٠ دول.[٦٣] وقد استغل الصهاينة مقاومة العرب الشديدة لقرار التقسيم الذي حرمهم بجرة قلم من ٥٧٪ من وطنهم، فلم يكتفوا بما خصص لهم ضمن قرار التقسيم بل احتلوا أكثر من نصف ما خصص للعرب أيضًا وذلك في أعقاب القتال الذي دار رحاه بين الطرفين عام ١٩٤٨م، وطردوا العرب من أراضيهم ثم أعلنوا رفضهم نهائيًا للتقسيم.

وفيما كان القتال دائرًا بين العرب واليهود بادرت اللجنة الخماسية (التي تم تشكيلها لتنفيذ قرار التقسيم) إلى العمل على إنهاء القتال بأي شكل. ومما زاد الأمور تعقيدًا إعلان الوفد الأمريكي عن رغبته في إعادة النظر في قرار التقسيم واستبداله بوصاية دولية تشرف على تسيير دفة الأمور في فلسطين والمحافظة على وحدتها.[٦٤] ولكن الوفد السوفييتي عارض هذا الاقتراح وأعلن جروميكو في جلسة مجلس الأمن يوم ١٩ آذار عام ١٩٤٨م بأن الاتحاد السوفييتي «يؤكد ويلح على أنه ليس من حق مجلس الأمن التبديل من قرارات الجمعية العامة.» وطالب بالتمسك بقرار التقسيم وعدم التراجع عنه مهما كانت الأسباب والمبررات — كما أضاف في الجلسة نفسها قائلاً: «لماذا كل هذه المماطلة والمراوغة في تنفيذ قرار التقسيم؟ لا مبرر لمزيد من النقاش والتشاور مع المندوبين العرب في سبيل استرضائهم.

---

(٦٢) نجدة فتحي صفوة، «موقف الاتحاد السوفييتي من تأسيس إسرائيل،» *الباحث العربي*، عدد ٥، (كانون الثاني، ١٩٨٥م)، ص ١٠٤.

(٦٣) United Nations, General Assembly, *Official Records: Second Session, Plenary Meeting*, November 29, 1947.

(٦٤) United Nations, Security Council, *Official Records: Third Year Meeting Records*, March 19, 1948, p. 143.

لقد تم صدور القرار فعلى الجميع تنفيذه والامتثال له . »[٦٥]

وفي منتصف نيسان من العام نفسه التأم شمل الجمعية العامة في جلسة خاصة ثانية لمناقشة تطورات القضية الفلسطينية وقد اتسمت مناقشاتها بالجدل البيزنطي العقيم ، ولم تنته هذه المهزلة إلا حينما قامت القوات الصهيونية عن طريق العمل العسكري المباشر بالإعلان عن نفسها كدولة في منتصف ليلة ١٤ أيار عام ١٩٤٨م . ومن اللافت للنظر أنه لم ترد أي إشارة إلى حدود الدولة الجديدة في إعلان الاستقلال . ويبدو أن غالبية الزعماء الصهاينة كانوا من دعاة رسم الحدود بقوة السلاح بحيث تتغير كلما ازدادت دولتهم توسعًا . ولم تمض إحدى عشرة دقيقة على إعلان الدولة اليهودية ـ أي في الدقائق الأولى من صباح ١٥ أيار — حتى أعلن الرئيس الأمريكي ترومان اعتراف بلاده الفعلي de facto بها .[٦٦] وفي اليوم نفسه قررت الجمعية العامة تأجيل جلساتها إلى إشعار آخر، واكتفت بتعيين الكونت السويدي فولك برنادوت Folke Bernadotte وسيطًا دوليًا دون تحديد دقيق للواجبات والمسؤوليات المناطة به .[٦٧] وفي الثامن عشر من أيار خطا الاتحاد السوفييتي خطوة أبعد من خطوة الولايات المتحدة فمنح إسرائيل اعترافًا قانونيًا de jure بكل ما يترتب على ذلك من نتائج .[٦٨] وهكذا وخلال أربعة أيام كانت إسرائيل قد ثبتت نفسها بالقوة ككيان سياسي شرعي ، وتمكنت من الحصول على الاعتراف الفعلي والقانوني للدولتين العظميين في الكتلتين الغربية والشرقية على التوالي . ومما يسترعي الانتباه أن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة منحت إسرائيل اعترافًا قانونيًا وبذلك أعطتها مصداقية كانت في أمس الحاجة إليها ، كما أعطتها نفوذًا معنويًا في عيون العالم ، ووضعت سابقة تتبعها فيها الدول الأخرى . والواقع أنه كانت هناك ستة أقطار شيوعية من بين الأقطار الأحد عشر التي اعترفت بإسرائيل خلال

---

(٦٥) Ibid.

(٦٦) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، *بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩م : دراسة وثائقية* (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٦م) ، ص ١٣٤ .

(٦٧) United Nations, General Assembly, *Official Records: General Assembly Resolution, Third Session. Plenary Meetings No. 186 (S-2)*, May 1948, p. 322.

(٦٨) Krammer, *The Forgotten Friendship*, p. 28.

شهر واحد من إقامتها.[٦٩]

صفقة الأسلحة التشيكية

في أعقاب صدور قرار التقسيم في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧م، اندلعت الاشتباكات بين اليهود وعرب فلسطين وتصاعدت وازدادت ضراوة. واعتمد العمل العسكري اليهودي الذي جعل إقامة «دولة إسرائيل» أمرًا ممكنًا على المساعدات العسكرية التشيكية بشكل رئيس، وعلى الرغم من قرار مجلس الأمن الذي طلب من جميع الحكومات والسلطات المعنية عدم إدخال المقاتلين والمواد الحربية إلى منطقة الشرق الأوسط.[٧٠] غير أن هذا القرار لم يردع السوفييت الذين أوعزوا إلى تشيكوسلوفاكيا بإرسال كميات هائلة من الأسلحة إلى اليهود الصهاينة في فلسطين قبل إعلان دولتهم. وقد بدأت المفاوضات التشيكية الصهيونية فور صدور قرار التقسيم في الوقت نفسه الذي كانت تجري فيه مفاوضات أخرى بين تشيكوسلوفاكيا وبعثة مشتريات سورية. غير أن الشيوعيين في أعقاب توليهم السلطة في شباط ١٩٤٨م أوقفوا تزويد السوريين والعرب بالسلاح بحجة أنهم «معتدون.»[٧١]

وقّع الصهاينة العقد الأول مع مصانع سكودا في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٨م واشتملت المشتريات على ٤٥٠٠ بندقية «ماوز» و ٢٠٠ مدفع رشاش M. G. 34 (مغلاديم كما يسمه رجال الهاجاناة) و ٥,٠٤٠,٠٠٠ رصاصة. وبلغت قيمة الصفقة ٧٥٠ ألف دولار. وأعلن رسميًّا في براغ أن البضاعة مرسلة إلى أثيوبيا. واستمرت عقود المشتريات حتى أواخر أيار عام ١٩٤٨م حيث بلغ مجموع المشتريات من تشيكوسلوفاكيا: ٢٤,٥٠٠ بندقية Mannlieher – Mauser Rifles وأكثر من ٥٠٠٠ مدفع رشاش خفيف Z.

---

(٦٩) Issac Deutscher, *Stalin* (Oxford: Oxford University Press, 1968), p. 591.

(٧٠) United Nations, Security Council, *Official Records: Third Year, Meeting Records, (Document S/PV)*, January 6, 1948, p. 331.

(٧١) حرب *فلسطين* ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م: *الرواية الإسرائيلية الرسمية*، ترجمها عن العبرية أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦م)، ص ٤١٤.

B. Machine Guns (مغلاديم)، و ٢٠٠ مدفع رشاش متوسط (بيزوت) وأكثر من ٥٤ مليون رصاصة، بالإضافة إلى ٢٥ طائرة ميسر شميت Messerschmitte ME-109 بعتادها وذخيرتها. وكانت قيمة جميع هذه الأسلحة ١٢,٢٨٠,٠٠٠ دولار تقريبًا.(٧٢)

ولِلإسراع في نقل الأسلحة، تم شحن الدفعات الأولى بطريق الجو (عملية بالات)(٧٣) وذلك باستئجار طائرة كونستليشن ذات أربعة محركات من شركة أمريكية، أقلعت من مطار براغ إلى مطار بيت داراس الذي كان بيد الهاجاناة. وقد تم شحن الأسلحة تحت ستار مواد طبية. ولدى إبداء الحكومة التشيكية عدم موافقتها على السماح للطائرات الأمريكية بالهبوط في أراضيها، حصل مندوبو الهاجاناة على تصريح باستعمال مطار في كورسيكا لنقل الأسلحة إليه من تشيكوسلوفاكيا على متن طائرات سويدية. ثم قامت طائرات أمريكية بنقل السلاح إلى فلسطين.

أما الجزء الأكبر من السلاح فقد وصل خلال الأسابيع الحاسمة التي سبقت إعلان قيام الدولة وذلك على متن السفينة الإيطالية نورا Nora التي نقلته من ميناء سبليت في يوغسلافيا، بعد أن نجح مندوبو الهاجاناة في توقيع اتفاق مع الحكومة اليوغسلافية، تم بمقتضاه نقل السلاح بالقطار من تشيكوسلوفاكيا إلى ميناء شيبنيك الصغير بالقرب من سبليت، وهناك جرى تحميل السلاح بعد تمويهه بكميات من البصل والبطاطا.(٧٤)

---

(٧٢) حرب *فلسطين*، ص ٤١٤.

(٧٣) حرب *فلسطين*، ص ٤١٥.

(٧٤) حرب *فلسطين*، ص ٤١٥؛ وصلت السفينة مع بدء عملية «نحسون» ونقل السلاح بعد إنزاله من السفينة مباشرة إلى مراكز توزيعه على المقاتلين. وفي اليوم التالي لوصول السفينة، أبرق بن جوريون إلى شاؤول مئيروف: «لقد وصلت الأشياء في موعدها وأنقذت القدس.» كما كتب يسرائيل غاليلي إلى مئيروف: «لم يتمالك المقاتلون أنفسهم فقبلوا القطع والشحم ما زال عليها» كما كتب بن غوريون في تلك الأيام إلى رجال المشتريات العسكرية في أوربا: «إذا كان الوضع في يهودا والمرج قد تغير إلى الأفضل ونحن الآن مسيطرون — أي مسيطرون على جبال القدس — فإن الفضل في ذلك يعود إلى شحنة السلاح الأولى التي تسلمناها». انظر: خليفة، حرب *فلسطين*، ص ٤١٦.

كان لوصول هذه الأسلحة أهمية حاسمة بالنسبة لليهود في قتالهم ضد العرب الفلسطينيين والذي انتهى بإقامة «دولة إسرائيل» في منتصف أيار عام ١٩٤٨م. وليس من المبالغة في شيء الافتراض بأنه لولا صفقة الأسلحة التشيكية، لكان مصير ملايين العرب الفلسطينيين الآن يختلف عما آلوا إليه كلاجئين مشردين مبعثرين في أنحاء العالم كافة. ولم تقتصر مساعدة السوفييت للصهاينة على صفقة الأسلحة التشيكية، بل سمحوا للعديد من يهود أوربا الشرقية القادرين على القتال بالهجرة إلى فلسطين بعد تلقيهم تدريبات عسكرية في معسكرات أقيمت لهذا الغرض في تشيكوسلوفاكيا متجاهلين مرة أخرى قرار الأمم المتحدة القاضي بمنع إرسال المقاتلين والمواد الحربية إلى أي طرف من الأطراف المتصارعة في الشرق الأوسط.(٧٥)

وهكذا فإنه يمكن القول إن «دولة إسرائيل» مدينة بقسط كبير من فضل وجودها للاتحاد السوفييتي الذي لولاه لما كانت قادرة على إثبات وجودها بهذه السرعة وبهذا الشكل الحاسم والمحافظة على أمنها بالقوة العسكرية خلال سنواتها التكوينية الأولى.

دوافع التأييد السوفييتي لإنشاء إسرائيل

إن من المثير للاستغراب في أوساط العديد من المراقبين أن يقوم الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٨م بتأييد قيام دولة إسرائيل التي لم يتجاوز سكانها آنذاك نصف مليون نسمة مقابل عشرات الملايين من العرب.(٧٦) وكان تبرير ذلك ما ورد على لسان أندريه جروميكو حينما قال: «. . . بالنسبة للاتحاد السوفييتي هناك دائمًا منطق واحد في السياسة الخارجية وهو منطق ما هو الأفضل للاتحاد السوفييتي.»(٧٧) فما هو يا ترى «منطق ما هو الأفضل» للاتحاد

---

(٧٥) United Nations, Security Council, *Official Records: Third Year, Meeting Records (Document S/PV)*, May 29, 1948, p. 278.

(٧٦) لدراسة مستفيضة حول هذا الموضوع انظر:

Mary Newcomb Allen, "The Policy of the USSR Towards the State of Israel, 1948-1958," unpublished Ph.D. Dissertation (London: London School of Economics, 1961), pp. 1-110.

(٧٧) Lesler Velie, *Count Down in the Holy Land* (New York: Funk and Wagnalls, 1969), p. 19.

السـوفييتي الـذي حدا به للوقـوف إلى الجانب الصهيوني خلال الفترة بين عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨م؟ وما هي دوافع هذا الموقف الذي جاء خاذلاً لجميع التوقعات العربية؟

لعـل من أهم تلك الـدوافع اعتقاد السوفييت أن المجتمع الصهيوني في فلسطين «بملامحه الاشتراكية البارزة» سيكون حقلاً سهلاً لانتشار الشيوعية ودوران الدولة الجديدة في فلك السياسة السوفييتية. فقد عقد الاتحاد السوفييتي — على ما يبدو — آمالاً عراضًا على احتمال أن تكون الدولة اليهودية حديثة النشأة وذات الميول اليسارية ذات فائدة له، ولا سيما حينـما انضم في كانـون الثاني عام ١٩٤٨م حزب عمال هاشومير هاتزعير مع حزب احدوث هاعفودا ـ بوعالي صهيون ليتكون منها حزب المابام، وهو الحزب الصهيوني الذي يمثل الجناح اليساري. وكان السوفييت يأملون أن يشد حزب المابام — الذي اندمج حديثًا — من أزر أولئك الذين كانت لهم ميول اشتراكية.(٧٨)

ويبدو أن قرار السوفييت تأييد قيام إسرائيل كان قرارًا تكتيكيًّا أكثر منه سياسيًّا. بيد أنه كان متفقًا مع السياسة الشاملة الرامية إلى التعرف على مرشحين للأقطار الاشتراكية في وقت مبكر ومساعدتهم وفق المسارات الاشتراكية. كما كان الاتحاد السوفييتي يأمل أن تقوّي «دولة إسرائيل الاشتراكية» من النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط. كذلك كان يراوده الأمل في أن تصبح «إسرائيل الاشتراكية» مثالاً تحتذيه أقطار أخرى في الشرق الأوسط، لا سيما في أعقـاب النجـاح الـذي حققتـه في المجـالات السياسية والعسكرية، ومما زاد من تفاؤل السـوفييت وجـود حزب شيوعي معـترف به في الأوسـاط الإسرائيلية. وقد اعتبر الاتحاد السوفييتي هذا مبررًا كافيًا لوصف إسرائيل بأنها «الدولة الديمقراطية الوحيدة»(٧٩) في منطقة الشرق الأوسط. لا سيما وأن جميع الأحزاب الشيوعية العربية كانت أحزابًا محظورة باستثناء الحزب الشيوعي اللبناني الذي كان غير ذي أهمية.

---

(٧٨) Hashim S. H. Behbehani, *The* Soviet *Union and Arab Nationalism: 1917-1966* (London: KPI Limited, 1986), p. 75.

(٧٩) Ibid.

وكان السوفييت — من ناحية أخرى — يدركون أن استمرار الدولة اليهودية الجديدة يعتمد — إلى حد كبير — على تدفق هجرات يهود العالم إليها. ونظرًا لأنه كان هنالك ما لا يقل عن ثلاثة ملايين يهودي يعيشون ضمن الاتحاد السوفييتي فقد بدا للسوفييت أن بمقدورهم استثمار هذا العدد الكبير من اليهود في أراضيها كقوة ضغط سياسية للتأثير على حياد الدولة اليهودية. كما بدا لهم أيضًا أن بمقدورهم استخدام اليهود السوفييت المهاجرين إلى اسرائيل كحصان طروادة لتهريب عناصر شيوعية موالية لموسكو إلى الشرق الأوسط[٨٠] ومما شجع السوفييت أيضًا على اتخاذ قرارهم المؤيد لإسرائيل هو كون معظم قادتها من أصل روسي أو بولندي مما زاد من احتمال تبنيها سياسة أميل إلى الاتحاد السوفييتي.

جدول رقم ١. أعضاء الحكومات الإسرائيلية والبلاد الأصلية التي ينتمون إليها في الفترة بين أيار ١٩٤٨ - كانون الأول ١٩٧٢م[٨١]

اسم البلد الأصلي	عدد الأعضاء	النسبة المئوية من المجموع الكلي لأعضاء الحكومات
بولندا	٢٣	٣٥,٩٣٧٥
روسيا	١٨	٢٨,١٢٥٠
فلسطين	٧	١٠,٩٣٧٥
ألمانيا	٦	٩,٣٧٥٠
رومانيا	٢	٣,١٢٥٠
النمسا	١	١,٥٦٢٥
جنوب أفريقيا	١	١,٥٦٢٥
العراق	١	١,٥٦٢٥
كندا	١	١,٥٦٢٥
المجر	١	١,٥٦٢٥
سوريا	١	١,٥٦٢٥
بلغاريا	١	١,٥٦٢٥
اليمن	١	١,٥٦٢٥
المجموع	٦٤	

(٨٠) Krammer, "Soviet Motives," p. 115.

(٨١) M. Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy* (Oxford: Oxford University Press: 1974), pp. 582-9; Behbehani, pp. 84-6.

جدول رقم ٢ . أسماء المناطق الجغرافية التي ينحدر منها أعضاء الحكومات الإسرائيلية في الفترة المذكورة نفسها في جدول رقم ١ .[٨٢]

اسم المنطقة	عدد الأعضاء	النسبة المئوية من المجموع الكلي
أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي	٤٥	٧٠,٣١٢٥
أوربا الغربية	٨	١٢,٥٠٠٠
فلسطين	٧	١٠,٩٣٧٥
الدول العربية	٢	٣,١٢٥٠
مناطق أخرى	٢	٣,١٢٥٠

جدول رقم ٣ . أسماء أعضاء الحكومات الإسرائيلية الذين قدموا من أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي في الفترة المذكورة نفسها في جدول رقم ١ (الأسماء مرتبة بحسب تسلسل تاريخ الميلاد) .[٨٣]

اسم العضو	مكان الميلاد وتاريخه	الحزب المنتمي إليه	اسم وزارته
الحاخام يهود ميمون Rabbi Y. Maimon	روسيا (١٨٧٥ - ١٩٦٢م)	مزراحي	الشؤون الدينية
إسحق غرونبوم Y. Gruenbaum	بولندا (١٨٧٩ - ١٩٧٠م)	الصهيونيون العموميون	الداخلية
ابن صهيون دينو B. Z. Dinur	روسيا (١٨٨٤ - ١٩٧٣م)	المابای	التربية والتعليم
الحاخام مردخاي موروك Rabbi M. Murock	لاتفيا (١٨٨٤ - ١٩٦٣م)	مزراحي	البريد
دافيد بن غوريون David Ben Gurion	بولندا (١٨٨٦ - ١٩٧٣م)	المابای - رافي	رئيس وزراء ووزير الدفاع وزير العمل والإنشاءات والنقل
دافيد ريميز David Remez	روسيا (١٨٨٦ - ١٩٥١م)	المابای	النقل والمواصلات

(٨٢) Behbehani, pp. 84-6.

(٨٣) Ibid.

تابع جدول رقم ٣.

اسم العضو	مكان الميلاد وتاريخه	الحزب المنتمي إليه	اسم وزارته
زالمان شازار Zalman Shazar	روسيا (١٨٨٩ - ١٩٦٨م)	المابای	التربية والتعليم
اليعازار كابلان Eliezer Kaplan	بولندا (١٨٩١ - ١٩٦٨م)	المابای	المالية والتجارة والصناعة ونائب رئيس الوزراء
الحاخام إسحق ليفين Rabbi Y. M. Levin	بولندا (١٨٩٤ - ١٩٧١م)	أغودات إسرائيل	الشؤون الاجتماعية
موشيه شاريت Moshe Sharett	روسيا (١٨٩٤ - ١٩٦٥م)	المابای	التربية والتعليم والخارجية ورئيس الوزراء
إسرائيل بار يهودا Y. Bar Yehuda	روسيا (١٨٩٥ - ١٩٦٥م)	أحدوت هاعفودا	الداخلية
دافيد زفي بنحاس D. Z. Pinhas	المجر (١٨٩٥ - ١٩٥٢م)	مزراحي	النقل
كادش لوز Kadish Luz	روسيا (١٨٩٥ - ١٩٧٢م)	المابای	الزراعة
ليفي أشكول Levi Eshkol	روسيا (١٨٩٥ - ١٩٦٩م)	المابای	رئيس وزراء، وزير الزراعة والمالية والدفاع
مردخاي نمير M. Namir	روسيا (١٨٩٧م -)	المابای	العمل
غولدا مئير Golda Meir	روسيا (١٨٩٨ - ١٩٧٩م)	المابای	رئيسة وزراء، وزيرة العمل والعدل والخارجية
زالمان أراني Zalman Aranne	روسيا (١٨٩٩ - ١٩٧٠م)	المابای	وزير بلا وزارة
بينتوف مردخاي B. Mordekhai	بولندا (١٩٠٠م -)	المابام	العمل والإنشاءات والنقل
جاك ماير جري J. M. Geri	ليتوانيا (١٩٠١م -)	مستقل	التجارة والصناعة
حاييم غيفاتي Haim Givati	بولندا (١٩٠١م -)	المابای	الزراعة والصحة
هارون زيسلنغ Haron Zisling	روسيا (١٩٠١ - ١٩٦٥م)	أحدوت هاعفودا	الزراعة
أكيفا جوفرين Akiva Govrin	روسيا (١٩٠٢ -)	المابای	الزراعة والصحة

تابع جدول رقم ٣.

اسم العضو	مكان الميلاد وتاريخه	الحزب المنتمي إليه	اسم وزارته
حاييم شابيرا	بولندا	هابوعيل هامزراحي	الهجرة والصحة
Haim Shapira	(١٩٠٢ - ١٩٧٠م)		
يعقوب شابيرو	روسيا	الماباي	العدل
Ya'accov Shapiro	(١٩٠٢م -)		
إسرائيل غوليلي	بولندا	أحدوت هاعفودا	وزير بلا وزارة
Yisrael Golili	(١٩٠٣م -)		
بنيامين مينتز	بولندا	بؤابي أغودات	البريد
B. Mintz	(١٩٠٣ - ١٩٦١م)		
بنحاس لافون	بولندا	الماباي	الزراعة
Pinhas Lavon	(١٩٠٤م -)		
إسحاق بن هارون	رومانيا	أحدوت هاعفودا	النقل
Y. Ben Aharon	(١٩٠٦م -)		
زئيف شريف	رومانيا	الماباي	التجارة والصناعة
Ze'ef Sharef	(١٩٠٦م -)		والمالية
زيرحا وارحافتك	بولندا	هابوعيل هامزراحي	الشؤون الدينية
Z. Warhaftic	(١٩٠٦م -)		
يوسف سيرلين	بولندا	الصهيونيون العموميون	الصحة
Y. Serlin	(١٩٠٦ - ١٩٧٤م)		
اليميليه ريملات	بولندا	الصهيونيون العموميون	البريد
E. Rimlat	(١٩٠٧م -)		
بنحاس سابير	بولندا	الماباي	التجارة والصناعة
Pinhas Sapir	(١٩٠٩م -)		والمالية
يوسف الموجي	بولندا	الماباي - رافي	وزير بلا وزارة
Y. A. Almogi	(١٩١٠م -)		
حاييم لانداو	بولندا	حيروت	التنمية
Haim Landau	(١٩١١م -)		
موشيه كارمل	بولندا	أحدوت هاعفودا	النقل
M. Carmel	(١٩١١م -)		
موشيه كول	بولندا	الليبراليون المستقلون	السياحة
M. Kol	(١٩١١م -)		
آربي دولتزين	روسيا	غاحال	وزير بلا وزارة
A. Dultzin	(١٩١٣م -)		

تابع جدول رقم ٣.

اسم العضو	مكان الميلاد وتاريخه	الحزب المنتمي إليه	اسم وزارته
إسرائيل بارسيلاي	بولندا	المابام	الصحة، وزير
Y. Barsilai	(١٩١٣ - ١٩٧٠م)		بلا وزارة
حاييم يوسف صادوق	بولندا	المابای	التجارة والصناعة
H. Y. Zadok	(١٩١٣م -)		والتنمية
مناحيم بيغن	بولندا	حيروت	وزير بلا وزارة
Menahem Begin	(١٩١٣م -)		(أصبح رئيسًا للوزارة عام ٧٧)
ميخائيل حزاني	بولندا	هابوعيل هامزراحي	الشؤون الاجتماعية
M. Hazane	(١٩١٣م -)		
ناتان بيليد	روسيا	المابام	الهجرة
Natan Peled	(١٩١٣م -)		
فكتور شيمتوف	بلغاريا	المابام	وزير بلا وزارة
V. Shemetov	(١٩١٥م -)		
شمعون بيريز	بولندا	المابای	وزير بلا وزارة،
Shimon Perez	(١٩٢٣م -)		وزير دفاع (أصبح فيما بعد رئيسًا للوزراء)

يلاحظ من الجداول (١) - (٣) أن نسبة القادة الإسرائيليين الذين وفدوا من الدول الشيوعية مرتفعة. ولا بد أن كان لهؤلاء دور كبير في التأثير على قرار السوفييت بالاعتراف «بدولة إسرائيل» لا سيما وأن خلفية غالبيتهم كانت خلفية اشتراكية ذات «صلة تعاطف طبيعية natural link[٨٤]» بخلفية الزعماء الشيوعيين في الاتحاد السوفييتي وبولندا، حيث إن كِلَا الخلفيتين كانتا مستمدتين من البيئة الاقتصادية والاجتماعية نفسها.

وهناك دوافع أخرى تفسر الموقف السوفييتي المؤيد لقيام دولة إسرائيل لعل من أهمها رغبة السوفييت في إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والعمل في الوقت نفسه على زعزعة النفوذ البريطاني بمجمله في منطقة الشرق الأوسط.[٨٥]

(٨٤) Behbehani, p. 83.

(٨٥) Ro'i, pp. 129-130.

فبالرغم من خروج بريطانيا من الحرب الثانية كقوة منتصرة ذات مكانة لا تضاهى في المنطقة إلا أن الاتحاد السوفييتي كان يعي المشكلات والمصاعب التي بدأت تواجهها بريطانيا، وكان يدرك أيضًا أن الضعف والإرهاق أخذا ينخران في أعماقها. فقد أرهقتها الحرب ماليًّا ومعنويًّا وبدأت «الإمبراطورية العظمى» تتراجع وتنحسر وأخذت الحركات الاستقلالية في العديد من أجزائها تحقق أهدافها الواحدة تلو الأخرى. ومما زاد الأمور صعوبة أمام الحكومة البريطانية اشتداد حدة الضغط الشعبي عليها لتقليص النفقات الاستعمارية وتقليل حجم القوات البريطانية في الشرق الأوسط وبخاصة في ضوء العدد الكبير من الضحايا البريطانيين نتيجة تزايد حرب العصابات ضدهم في فلسطين. غير أن الاتحاد السوفييتي خشي من تدخل أمريكي لإنقاذ الوضع المتدهور لبريطانيا في فلسطين كما حدث عام ١٩٤٦م في اليونان حينما استنجدت بريطانيا بالولايات المتحدة لمؤازرتها في الدفاع عن المنطقة من الخطر السوفييتي. وفي محاولة لتجنب اتفاق أمريكي بريطاني ضد السوفييت في فلسطين، انتهز ستالين فرصة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى في موسكو في آذار عام ١٩٤٧م، وعقد محادثات سرية غير رسمية على هامش المؤتمر مع ارنست بيفن أكد له فيها الزعيم الروسي أن بلاده لن تضع العراقيل والصعاب أمام بريطانيا، ولن تؤازر الآخرين في القيام بذلك «. . . فالاتحاد السوفييتي تمشيًا مع سياسته بعدم التدخل في شؤون الآخرين لا يتدخل ولا ينوي التدخل في شؤون بريطانيا في مناطق نفوذها. . . .»(٨٦) وقد تركت هذه التأكيدات السوفييتية أثرها على بيفن وعلق عليها بقوله: «فلننتظر لنرى تطبيق ذلك في سياسة السوفييت.»(٨٧) وكان ستالين يدرك أن بريطانيا بمفردها — أو بدون تدخل من الولايات المتحدة الأمريكية على الأقل — ستواجه صعوبات في تدبير أمورها في فلسطين وستضطر أخيرًا لعرض القضية على الأمم المتحدة.(٨٨)

ومن ناحية أخرى فإن الاتحاد السوفييتي كان يسعى إلى إشعال التنافس بين الإنجليز والأمريكيين وزعزعة الحلف الإنجليزي الأمريكي المناوىء للاتحاد السوفييتي في الحرب

(٨٦) *New York Times*, (May 8, 1947), p. 3.

(٨٧) Ibid.

(٨٨) Ibid.

الباردة.[٨٩] فمنذ شباط عام ١٩٤٧م حينما قررت بريطانيا تحويل القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة لم يكن هنالك تنسيق تام بين حكومة العمال البريطانية وإدارة الرئيس الأمريكي ترومان حول مشروع التقسيم. وفي الوقت نفسه بدا أثناء مناقشة الأمم المتحدة لمشروع التقسيم أن هنالك اتفاقًا تامًّا بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية حول هذا الموضوع مما أثار بعض الحساسات والتوتر في العلاقات البريطانية الأمريكية استمرت لحين قيام الدولة اليهودية.[٩٠]

وفي رأي أحد المحللين العسكريين الأمريكيين قسطنطين براون Constantine Brown «أن اندفاع موسكو وانضمامها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تأييد قيام دولة يهودية يعتبر في نظر الكثير من المحللين العسكريين خطوة ذكية لإحداث شرخ دائم في العلاقات الأمريكية العربية حول فلسطين.»[٩١] فقد كان السوفييت يدركون أنهم لن يخسروا شيئًا في المنطقة لأنهم لا يملكون شيئًا فيها بعكس الولايات المتحدة الأمريكية التي ستخسر الكثير من جراء هذا الموقف.[٩٢] فخطاب غروميكو في تشرين الثاني عام ١٩٤٧م المؤيد لإقامة الدولة اليهودية لم يثر سوى عدد محدود من المظاهرات المعادية للسوفييت وسرعان ما نسي العرب أبعاد هذا الخطاب وما ترتب عليه من نتائج. ففي مطلع كانون الأول عام ١٩٤٧م بعد أقل من أسبوع على صدور قرار التقسيم صرح الناطق الرسمي باسم مكتب جامعة الدول العربية في واشنطن في مؤتمر صحفي بأن موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة لفلسطين لم يكن في خطورة الموقف الأمريكي.[٩٣] وبعبارة أخرى، فإن مسؤولية ما جرى في فلسطين تقع على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في الدرجة الأولى. ولا شك أن قيام إسرائيل «في مناخ غربي معاد لها ورافض لمبدأ وجودها في المنطقة العربية» دفع العرب لأن يلقوا بالمسؤولية الكبرى — في ذلك الموقف — على عاتق الغرب

---

(٨٩) مصطفى، *بريطانيا*، ص ٦١.

(٩٠) Krammer, *The Forgotten Friendship*, pp. 51-52.

(٩١) *Washington Evening Star,* Dec. 3, 1947, p. 2.

(٩٢) *Arab News Bulletin,* Dec. 6, 1947, p. 2; Krammer, "Soviet Policy," p. 113.

(٩٣) *Arab News Bulletin,* Dec. 6 1947, Krammer "Soviet Policy," p. 113.

الذي أصدر وعد بلفور وسمح بالهجرة غير المشروعة إلى فلسطين وألزم نفسه بالدفاع عن إسرائيل من خلال التعهدات التي تضمنها التصريح الثلاثي.»(٩٤)

وهناك من يرى أن استمرار العرب في رفضهم لبقاء إسرائيل بينهم يوجد بؤرة دائمة للصراع في المنطقة مما يهيىء مجالاً مناسبًا للسوفييت كي يقوموا بالحركة والمناورة التي «تعزز من مقدرتهم على بلوغ أهداف استراتيجيتهم البعيدة في المنطقة العربية الغنية بمواردها النفطية وبالتسهيلات الاستراتيجية، والتي كانت تشكل — في اعتقادهم — عصبًا مهمًّا من أعصاب الصراع الدولي بين الشرق والغرب.»(٩٥) كما أن إنهاك القوى العربية التي دفعها الحس القومي للذود عن فلسطين وذلك من خلال «صراعات مسلحة ومستمرة ضد إسرائيل، كان لا بد وأن ينتهي بتدمير المانع القومي وإزاحته عن طريق الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط ليسهل عليه بعدها التغلغل والانتشار في تلك المنطقة الحيوية لمصالحه الأمنية.»(٩٦)

وكان الاتحاد السوفييتي — من ناحية أخرى — يسعى جاهدًا إلى إضفاء صفة الشرعية على تدخله المباشر في تقرير مصير فلسطين، وذلك عن طريق الدعوة إلى إشراف الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن على مجرى الأحداث وتطوراتها بين العرب واليهود. ولكن الولايات المتحدة واجهت هذه الدعوة بالرفض المستمر وخاصة حينما طرح السوفييت في شباط عام ١٩٤٨م فكرة إنشاء قوة دولية لحفظ السلام «وحماية إسرائيل من أي هجوم عليها،» تشارك فيها الدول الكبرى بما فيها الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. وقد خشيت الولايات المتحدة الأمريكية من مغبة تنفيذ هذا الاقتراح لأنه «بمجرد أن ترسل روسيا قواتها إلى فلسطين فلن تتمكن أي قوة في العالم من إخراجها دون الدخول في حرب.»(٩٧) ونظرًا لمساهمة روسيا الكبيرة مع الولايات المتحدة في إنجاح مشروع التقسيم

---

(٩٤) إسماعيل صبري مقلد، *الصراع الأمريكي السوفييتي حول الشرق الأوسط* (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٦م)، ص ٣٩.

(٩٥) مقلد، *الصراع*، ص ٤٠.

(٩٦) مقلد، *الصراع*، ص ٣٩.

(٩٧) U.S. House of Representatives, *Congressional Record*, December 18, 1947, p. 11653.

فإنها ستطلب بلا شك دورًا رئيسًا لقواتها هناك . وبذلك يؤمن السوفييت حصولهم على قاعدة تؤمن لهم القيام بدور مؤثر في شؤون فلسطين بوجه خاص وشؤون منطقة الشرق الأوسط بشكل عام .(٩٨) ولعل اعتقاد السوفييت بقوة الروابط اليهودية الأمريكية جعلهم يتوقعون أن يمارس اليهود الأمريكيون ضغطًا على واشنطن لتأييد الاقتراح السوفييتي والموافقة على إنشاء قوة دولية يشارك فيها السوفييت بشكل شرعي ومقبول «لحماية الدولة اليهودية من أي هجوم متوقع .»(٩٩)

إن التعرف على الدوافع الحقيقة للموقف السوفييتي المؤيد لإنشاء «دولة إسرائيل» يظل أمرًا محيرًا تلعب فيه التخمينات والافتراضات دورًا كبيرًا وذلك في غياب الوثائق السوفييتية الرسمية أو شبه الرسمية التي بمقدورها أن توفر للباحث ما ينقصه من مستندات رسمية تمكنه من الجزم بحقيقة الدوافع والأهداف التي كانت تكمن وراء هذا الموقف. وبالرغم من ذلك فقد حاولت الدراسة — ما أمكنها ذلك — تعويض الكثير من هذا النقص عن طريق الاعتماد على الوثائق الرسمية للأمم المتحدة بالإضافة إلى الوثائق الأمريكية لا سيما وأن الولايات المتحدة كانت دولة حليفة للاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية .

لقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن الاتحاد السوفييتي — في فترة ما بعد الحرب الثانية — أخذ ينتهج سياسة خارجية براغماتية تجاه القضية الفلسطينية هدفها خدمة المصلحة العربية أو المصلحة اليهودية بقدر ما كان هدفها خدمة المصلحة السوفيتية أولاً وأخيرًا. إن تأييد السوفييت لقرار التقسيم واعترافهم القانوني «بدولة إسرائيل» وتقديمهم العون السياسي والعسكري لها لم يكن الهدف من وراء ذلك كله سوى البحث عن موطىء قدم في منطقة الشرق الأوسط يوفر لهم المجال للقيام بدور مؤثر في شؤون المنطقة ومستقبلها. لقد قامت إسرائيل على أكتاف المهاجرين الذين وفد معظمهم من الاتحاد السوفييتي ودول

---

(٩٨) وقد ورد في وثائق الكونجرس الأمريكي تساؤلات عديدة حول هذه القضية كان أهمها هل سيتم إرسال جيش أمريكي لتنفيذ قرارات مجلس الأمن؟ وهل سيسمح بإرسال الجيش الروسي للهدف نفسه؟ إذا ما تم ذلك فسيكون المستقبل مظلمًا .Ibid

(٩٩) Krammer, "Soviet Motives," p. 115.

أوربا الشرقية وكانت تربطهم صلة تعاطف طبيعية natural link مستمدة من خلفية مشتركة أمدتهم بتطلعات اشتراكية بدت أحيانًا وكأنها متشابهة ولكنها ما لبثت أن بانت على حقيقتها بمجرد قيام الدولة اليهودية وظهور تناقضات عميقة بين الاشتراكية الماركسية اللينينية والاشتراكية الصهيونية.

أما بالنسبة للعرب فقد كان السوفييت يرون فيهم شعوبًا متناثرة ومتخلفة ذات أنظمة إقطاعية عشائرية تتحكم فيها وتسيطر عليها كل من بريطانيا وفرنسا ومما أكد نظرتهم هذه اتخاذ المندوبين العرب في الأمم المتحدة موقفًا سلبيًّا معاديًا للاتحاد السوفييتي. غير أن هذه النظرة السوفييتية للعرب — والتي كانت تعكس إلى حد كبير نظرة ستالين نفسه — أثبتت عقمها وقصورها كما أثبتت الأحداث بعد ذلك. إن إصرار ستالين على تجاهل القوى الكامنة في الوطن العربي والمراهنة على الدولة اليهودية كاد يوقع السوفييت في مزيد من الإرباكات في المنطقة لولا التغير الجذري الذي طرأ على سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه الصراع العربي الإسرائيلي في أواخر عهد ستالين وفي أعقاب وفاته، فقد اتضح للسوفييت عدم جدوى المراهنة على إسرائيل لا سيما بعد فشل الشيوعيين وأعضاء المابام — الحزب اليساري — في تحقيق نتائج لها شأن في انتخابات الكنيست في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٩م في حين أن حزب المباي بزعامة بن جوريون المؤيد للولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الغربي حصل على أكثرية الأصوات. وبدأت العلاقات العربية السوفييتية في أعقاب ذلك تأخذ منحى جديدًا أكثر جدّية وإيجابية بالنسبة للجانبين.

The Soviet Union and the Creation of Israel

Amin A. Mahmoud
Assistant Professor, History Department, College of Arts,
Kuwait University, Kuwait

Abstract. The purpose of this study is to examine the Soviet attitude toward the establishment of a Jewish State in Palestine in the immediate post - WWII period. It analyzes the various factors that led to the Soviet Union's recognition of Israel in May 1948. The available evidence used by this study suggests that a great part of Israel's creation and consolidation had been achieved through the assistance of the Soviet Union and East European countries. Most of the Jewish emigration to Palestine came from these countries. Also the main sources of Israeli weapons were of Soviet and East European origins. And once Israel had been declared the Soviet Union was the first state to recognize it *de jure*. Therefore the study seeks to define the general aims of the Soviet Union's policy in the Middle East and its specific motives for supporting the Israeli side in 1948.

The question whether the material available and used was reliable had been of great concern to the researcher. What had complicated the question even more was the scarcity of any Soviet archival material. Thus, the research had to be based upon other primary sources, such as the United Nations Documents. The U.S. Archives, on the other hand, was of great importance to this study in its pre-1948 part. This could be explained in the light of the close alliance between the Soviet Union and the U.S.A. during the course of WW II.